أيام الإنسان في سورة الإنسان

أ. د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد
قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أيام الإنسان في سورة الإنسان

أ.د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد

قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٣/ ٣/ ١٤٤٥هـ تاريخ قبول البحث: ١٤/ ١١/ ١٤٤٥ هـ

ملخص الدراسة:

لا ينفك قارئ القرآن عن إلماح مزيد من الهدايات والعبر كلما تفكر في القرآن، ومن عاش مع القرآن أيقن أنه متجدد في خطابه، ما تعاقب الملوان، صالح لكل زمان ومكان، وعند تأمل الباحث لسورة الإنسان-كونها من السور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يرددها في فجر الجمعة- لمح جمعها لعدة أيام هي أيام الدنيا والآخرة، بأسلوب متوازن بين الترغيب والترهيب، وأنها لملمت شعث زمان الإنسان في أربعة أيام: يوم العدم، ويوم الوجود، ويوم الحساب، ويوم الخلود، كما أن السورة تفردت بأربعة ألفاظ لم يتكرر مثلُها في القرآن، وهي: (أمشاج)، (مستطير)، (قمطرير)، (ثقيل)، وكلها أوصاف لموصوف واحد، ما عدا الأول، وهذا مما يعمق البحث في السورة، ويجعل له ميزة متفردة تستحث إعمال الفكرة، وكثرة أوبة العقل إليها، واستخلاص ما يعن في خاطر القارئ بقلبه

الكلمات المفتاحية: الإنسان- الأيام- أمشاج- قمطريرا- العدم- الوجود

The Human Days in Surat al-Insan

Dr. Asim bin Abdullah bin Muhammad Al Hamad
Department Qur'anic Studies and Sciences - Faculty Fundamentals of Religion and Islamic Preaching,
Imam Mohammad ibn Saud Islamic University

Abstract:

A reader of the Qur'an continually uncovers new layers of guidance and meaning upon reflection. Those who live in constant engagement with the Qur'an come to realize the dynamic nature of its discourse—timeless in relevance, suitable for every era and setting. Upon contemplating Sūrat al-Insān—a chapter that the Prophet Muḥammad ﷺ used to recite during the Friday dawn prayer—the researcher observed that it gathers references to several key days: the days of this world and the Hereafter. The chapter presents these in a balanced style of both encouragement and warning. It organizes the temporal experience of the human being into four pivotal days: the Day of Nonexistence, the Day of Existence, the Day of Reckoning, and the Day of Eternity. Moreover, the surah uniquely includes four words that appear nowhere else in the Qur'an: amshāj (mixed fluids), mustatīr (blazing), qamtarīr (bleak), and thaqīl (burdensome)—all of which describe a single referent, except the first. This linguistic rarity adds depth to the surah's interpretive richness, inviting repeated contemplation and mental return, and allowing the reader to extract insights that resonate with the heart.

key words: al-Insan – days – amshaj – qamtarir – nonexistence – existence

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فكلما أعطى المسلم وقتًا للقرآن في النظر والتأمل كلما عاد عليه عائد الخير والبركة والنماء، علمًا ومعرفةً وسلوكًا، وهذا من بركات القرآن العظيمة التي نص الله على وجودها في كتابه فقال: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ ص:٢٩.

فمن أعظم بركات القرآن توسعُ المدارك، وشمولُ المعرفة، وإضافةُ علم إلى علم، وهدى إلى هدى، ويقين إلى يقين، بل كانوا يعدون من بركته سلامةَ العقول، وبُعدَها عن السَّقم، و"**كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُرَّاء القُرآن**"(١)، وهذا له واقعٌ مُجرَّبٌ مُشاهد يراه كلُّ ذي عينين(٢).

ومن هنا كان تعلُّمُ القرآن والتفكرُ في آياته أمرًا لا يسقط عن أولي بقيةٍ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢٠/٦) ورقم (٢٩٩٥٦) عن عبدالملك بن عمير.

(٢) قال متمم أضواء البيان: "**وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته، لا يصاب بالخرف ولا الهذيان**"، وذلك عند بيان قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ التين:٥-٦، على مراد أحد القولين أن الرد إلى أسفل سافلين بلوغُ أرذل العمر، وهو اختيار ابن جرير؛ لأن الله أخبر عن خلقه الإنسان، وتصريفه في الأحوال، احتجاجًا بذلك على مُنكري قُدرته؛ ولذا قال بعدها: ﴿ **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ** ﴾ التين:٧، وانظر: جامع البيان (٥١٠/٢٤).

من الناس يستشرحون القرآن، ويطلبون معانيه، قال القرطبي مستنبطًا من الآية الماضية: "**وفي هذا دليلٌ على وجوب معرفة معاني القرآن**"(١).

فشاهد القول أن النظر مرارًا وتكرارًا في مرامي القرآن وأساليبه، والكرَّ والفرَّ في تناول كتب التفسير لهو خير وسيلة على استخراج المزيد من كنوز العلم، وبعيد المعاني التي تُستَدرك بنحوٍ مما قال أبو هريرة: " **اقْرَؤوا القرآنَ والتَمِسوا غرائِبَه**"(٢)، وهذا الالتماس إنما يُنال مع حسن المقصد، وعظيم التوفيق، واتباع أصول السلف في النظر والتأمل والتدبر.

ويدل على أن عجائب القرآن لا تنقضي، وإنما هي حاصلة مع كثرة الرد، ما جاء عن أبي جحيفة -رضي الله عنه-، قال: قلت لعلي -رضي الله عنه- : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: "**لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهْمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن**"(٣)، قال الشنقيطي: "**لكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه، وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام، ففي كل حين تُفهَم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل**"(٤).

وقد عنَّ للباحث أن يكتب في عموم سورة الإنسان؛ لما جاء فيها من الفضل على ما سيأتي بيانُه، فلما شُرِع في قراءتها والوقوف عند طيَّات معانيها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩٢/١٥)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه مرفوعًا، ولا يصح لحال عبدالله بن سعيد المقبري وكونه متروك الحديث، كما في التقريب (ص:٣٠١)، وجاء في الإحياء موقوفًا على أبي هريرة بلفظ "**أعربوا**"، وضعفها العراقي في تخريجه للإحياء (٣٤٢/١).

(٣) رواه البخاري، في كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، ورقم (٣٠٤٧).

(٤) أضواء البيان (٢٥٨/٢).

وجدَ الباحث أن السورة اكتنزت كثيرًا مما ينبغي أن يُخصَّ بالوقوف عنده، ومن ذلك أنها تناولت مراحل الأيام التي لا بد لكل إنسان أن يمرَّ على مرحلة منها، بأسلوب فريد، متناوَب بين الإطناب والإيجاز، مؤكدًا أهمية المرحلة بانتقاء الأسلوب المُختار، ومن هنا كان موضوع البحث عن هذه الأيام الحتمية، وذكر تفاصيل ما جاء منها من تفصيل، فسميته: **أيام الإنسان في سورة الإنسان**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- ارتباط هذا الموضوع بأشرف معلوم، وإنما شرف العلم بشرف من تكلم به.

٢- حاجة النفوس إلى الوعظ والاستذكار بحقيقة الإنسان وأيامه.

أهداف البحث:

١- بيان مكانة سورة الإنسان من بين سور القرآن، وما فيها من الفضائل والمقاصد.

٢- بيان الأيام الأربعة التي أشارت إليها السورة، والتي هي من مراحل زمن الإنسان.

الدراسات السابقة:

لم أجد-بعد الاطلاع والبحث- من تكلم حول هذا الموضع الخاص، وإنما الدراسات القائمة تتمحور كما تمحور غالب المفسرين في تناول السورة إما دراسة تحليلية، أو دراسة إجمالية، أو دراسة لبيان الغريب من السورة.

وموضوع البحث قائم على فكرة تناولتها السورة في عمومٍ منثورٍ من أولها

إلى آخرها، ولم أجد-كذلك- من أشار إلى هذا الموضوع من بين مَن عدَّد أهم موضوعات السور-بعون الله وتوفيقه-.

كما أن هذا البحث جاء مُحرِّرًا لبعض المسائل المتنازع فيها بين السلف قديمًا، كتنزل السورة، ولأن سورة الإنسان من السور المختلف في تنزلها فقد جرت عادة غالب المفسرين في نقل الخلاف مع عدم التحرير، وكما أن هذا البحث جاء مُحرِّرًا لذكر ما جاء في السورة من فضائل وتمييز صحيح ذلك من عليله.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: بين يدي سورة الإنسان.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تنزل سورة الإنسان.

المطلب الثاني: فضائل سورة الإنسان.

وتحته ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: استقاء فضل السورة.

المسألة الثانية: تلمس بعض الحكم من قراءتها يوم الجمعة.

المسألة الثالثة: آثار في فضلها.

المبحث الثاني: أسلوب سورة الإنسان، وأهم موضوعاتها.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب سورة الإنسان.

المطلب الثاني: موضوعات سورة الإنسان.

المبحث الثالث: أيام الإنسان في سورة الإنسان.

وتحته توطئة وأربعة مطالب:

توطئة: قبل الوجود إلى الخلود.

المطلب الأول: يوم العدم.

وتحته خمس مسائل:

المسألة الأولى: الحالة الدهرية.

المسألة الثانية: ذكر يوم العدم في غير هذه السورة.

المسألة الثالثة: ذكر يوم العدم في السُنَّة.

المسألة الرابعة: الاستدلال بيوم العدم على منكري البعث.

المسألة الخامسة: الذرية قبل إحيائهم.

المطلب الثاني: يوم الوجود.

وتحته خمس مسائل:

المسألة الأولى: المقصود بيوم الوجود.

المسألة الثانية: الإيجاز في ذكر يوم الوجود.

المسألة الثالثة: الإشارة إلى النشأة والتكوين.

المسألة الرابعة: المقابلة بين الشاكر والكافر.

المسألة الخامسة: الهداية والغواية.

المطلب الثالث: يوم الحساب.

وتحته خمس مسائل:

المسألة الأولى: المقصود بيوم الحساب.

المسألة الثانية: أوصاف يوم الحساب في السورة.

المسألة الثالثة: معاني الأوصاف الواردة في السورة.

المسألة الرابعة: أوصاف يوم الحساب بين سياقي الطائفتين.

المسألة الخامسة: منهج الموازنة بين الترغيب والترهيب.

المطلب الرابع: يوم الخلود.

وتحته مسألتان:

المسألة الأولى: الآيات في ذكر يوم الخلود.

المسألة الثانية: سياق المقارنة بين وصفي النعيم والجحيم.

الخاتمة: وفيها بيان لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث:

سلكت في البحث المنهج التحليلي، وفق الآتي:

١. ضبط الكلمات بالشكل عند الحاجة إلى ذلك.

٢. شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة إلى ذلك.

٣. التعريف بالأماكن عند الحاجة إلى ذلك.

٤. التعريف بالأعلام الذين يتطلب البحث التعريف بهم، تعريفًا موجزًا.

٥. التعريف بالقبائل والفرق والمذاهب عند الحاجة إلى ذلك.

٦. استخدام علامات الترقيم حسب الوسع والطاقة.

٧. توثيق النقل في الهامش.
٨. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.
٩. أكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أحد منهما فأخرجه من بقية أمهات الكتب الستة، مع ذكر ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من القبول والرد.
١٠. توثيق القراءات وعزوها إلى قرائها.
١١. توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلى قائليها من دواوينهم أو كتب اللغة والأدب.
١٢. عند النقل باختصار وتصرف، أو عند الرجوع إلى أكثر من مصدر، يحال إليه بقول: **انظر**.
١٣. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم مع ترقيم الآيات وعزوها.
١٤. وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
١٥. وضع فهارس تخدم الباحث والمطلع، مشتملة على: قائمة المصادر، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: بين يدي سورة الإنسان

المطلب الأول: تنزل سورة الإنسان.

اختلف السلف في تنزلها إلى عدة أقوال:

١-فمنهم من قال: هي مدنية، كابن عباس[١]، وعكرمة والحسن[٢]، والزهري[٣]، والداني[٤].

٢-ومنهم من قال هي مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ الإنسان٢٤ كقتادة [٥].

ومن استثنى آيات الصبر -كما هاهنا- من مجموع السورة المدنية فلعله رأى مناسبة العهد المكي، لما في آيات الصبر من أمر النبي ﷺ بالكف إلا عن الصبر، لما في المناخ المكي من عدم القوة، بخلاف العهد المدني الذي أُذِن فيه بالقتال.

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن(ص:٣٣) في باب: فيما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة، وفيه محمد بن عبدالله بن أبي جعفر الرازي، وهو صدوق كما الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٠٢/٧)، ولم يصرح أبو جعفر بسماعه عن عمر بن هارون، ولم أر من ذكره من شيوخه الذين حدث عنهم. **وانظر**: تهذيب الكمال، للمزي (٤٦١/٢٥).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧)، في جماع أبواب كيفية نزول الوحي، باب: ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة، وصحح إسناده مرسلاً فيما بعده (١٤٤/٧).

(٣) **انظر كتابه**: تنزيل القرآن (ص:٤١).

(٤) **انظر كتابه**: البيان في عد القرآن (ص:١٣٦).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير عن معمر(٣٧٨/٣)، وابن جرير في التفسير (١١٥/٢٤) كلاهما بأسانيد مرسلة، **وانظر**: معالم التنزيل (١٨٨/٥).

ولكن ذلك الاستثناء ليس بلازم، فقد تأتي آياتٌ حاثةٌ على الصبر مع كونها في سورة مدنية إجماعًا، كما في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ البقرة:٤٥، ولم يقل أحدٌ من أهل العلم أن هذه الآية مكية من مجموع السورة المدنية لأمرها بالصبر.

٢- ومنهم من قال: هي مدنية من أولها حتى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ الإنسان:٢٣، فمن هذه الآية حتى نهاية السورة كلُّ ذلك مكي، حكاه الماوردي[١].

وهذا القول في الاستثناء أوسع من الأول، لأنه ضم آياتِ الصبر وآياتٍ أخرى.

ومن استثنى الآيات مِن الآية الثالثة والعشرين من مجموع السورة المدنية فلعله رأى مناسبة الخطاب للمشركين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان:٢٧، فقد رأى بعض أهل التفسير أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ لأهل مكة[٢]، وهذا مُعترَضٌ عليه بأن الخطاب عام لم يُخَصِّصه شيء، بل يدخل فيه كلُّ مُنكِر، لقوله تعالى: ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾، والمعنى: يدعون وراءهم يومًا ثقيلاً، ولازمه عدم

---

(١) **انظر تفسيره:** النكت والعيون (١٦١/٦)، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٤/٤).

(٢) على ما درج عليه كثير من المفسرين، كما في معالم التنزيل (١٩٥/٥)، والمحرر الوجيز (٤١٥/٥)، فقد نصوا على كفار مكة، ولم يذكروا غيرهم، **وانظر:** الجامع لأحكام القرآن (١٥٠/١٩)، وقد نقل هذا القول ولكنه صحح العموم كما سيأتي.

الإيمان بذلك اليوم، فيدخل في الخطاب: من كان في مكة من المشركين، ومن كان في المدينة من المنافقين واليهود، وكل مُكذِّب مُنكِر إلى يوم يبعثون.

ولا يلزم أن يكون نزول هذه الآية أولاً على مشركي مكة، بل قد يكون نزولها على منافقي المدينة أولاً، ويشمل العموم مشركي مكة ثانيًا، أو يكون نزولها على مشركي مكة أولاً وقت كان النبي ﷺ في أول مقدمه المدينة، ويشمل العموم منافقي المدينة ثانيًا، إذْ لا مانع من نزول مثل ذلك وهو ﷺ في المدينة والخطاب لأهل مكة، كما نزلت آيات في معركتي بدر وأحد، ولا زال المشركون في مكة.

ومن هنا رجح القرطبي شمول الخطاب لكلٍّ من ذُكِر(١).

٣- ومنهم من قال إنها مكية، كمقاتل والكلبي، ونسب ابنُ الجوزي القولَ بمكيتها إلى الجمهور(٢).

والراجح من الأقوال-والعلم عند الله-:

القول بشمول مدنية السورة؛ لأمور:

١- سلامة هذا القول من الاعتراض.

٢- ولأن من خصص بعض الآيات كان تخصيصُه من غير مُوجِب، ولذا قال ابن الحصار: "وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة"، قال: "إلا

---

(١) **انظر**: الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٥١).

(٢) **انظر**: زاد المسير (٤/٣٧٤) ونسبه القرطبي لابن عباس أيضًا وهو خلاف رواية ابن الضريس المسندة إلى ابن عباس في كونه يراها مدنية-وقد تقدم في الرأي الأول-. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/١١٨).

أن من الناس مَن اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل"[١].

٣- ولأن القاعدة في ذلك هو أصالة شمول المدني، أو أصالة شمول المكي.

٤- ولأن إخراجَ آيات من سورة مدنية، أو إخراجَ آيات من سورة مكية خلافُ الأصل، ولا يُعارَض الأصل إلا بدليل صحيح صريح، لا يدخله الاحتمال، وفي ذلك يقول ابن عثيمين: "**الأصل أن السورة المكية مكية بجميع آياتها، وأن السورة المدنية مدنية بجميع آياتها**"[٢].

٥- ومما يُستأنس له وليس بلازم: ورود ذكر **الأسير** فيها من قوله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ الإنسان:٨، والأسير يشمل: المحبوس من المشركين.

وإنما قيل ليس بلازم؛ لأن العموم الذي جاء في تنكير (الأسير) شمل: الزوجة، لقول النبي ﷺ:" **ألا واستوصُوا بالنساء خيرًا؛ فإنما هنَّ عَوانٍ عندكم**"[٣]، كما يدخل في العموم: ناقص العقل؛ لأنه أُسِر بخباله، ودل على هذا العموم قول عطاء: "**الأسير من أهل القبلة وغيرهم**"[٤]، وهذا ما رجحه القرطبي من عموم اللفظة[٥].

---

(١) التحبير في علم التفسير، للسيوطي (ص:٧٣).

(٢) تفسير ابن عثيمين لسورة الشورى (١: ٤٥) https://www.alathar.net/home/esound/index.

(٣) رواه الترمذي، في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ورقم (١١٦٣)، وقال: "**هذا حديث حسن صحيح، ومعنى قوله: عوان عندكم، يعني: أسرى في أيديكم**".

(٤) **انظر**: تفسير الكشاف (٦٦٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩).

(٥) **انظر**: الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩).

٦- ومما يُستأنس له وليس بلازم ما جاء في ملامح السورة من علامات السورة المدنية، كطول أكثر آياتها.

وإنما قيل ليس بلازم؛ لأن هنالك من السور قصيرة الآيات ومع ذلك فهي مدنية، كسورتي الفلق والناس.

وحاصل القول أن السورة مدنية؛ لكثرة المرجحات لهذا القول، ولعل مثل هذا التحرير وأفضلَ منه يكون محلَّ اهتمام الباحثين، إما إفرادًا لسورة، أو استيعابًا لجملة السور القرآنية، للنظر في الخلافات الواردة وتمحيصِ ما له أثر في المسألة، وتحريرِ ما كان مدنيًّا في المكي، أو ما كان مكيًّا في المدني.

المطلب الثاني: فضائل سورة الإنسان.

المسألة الأولى: استقاء فضل السورة.

من أعظم الدلالات التي تُبين عن فضل سور القرآن:

– أن يأتي عن النبي ﷺ قول دالٌّ على فضلها، كأنْ تُخصَّ بثواب خاص، كما في سورة البقرة من قوله ﷺ: "**فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ**"(١).

– أو يأتي عن النبي ﷺ فعلٌ دالٌّ على فضلها، كأن يديم على قراءتها في الصلاة.

وما صحَّ في فضل سورة الإنسان إنما هو من النوع الثاني، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصبح، يوم الجمعة: بـ(الم تنزيل) في الركعة الأولى، وفي الثانية: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا**﴾(٢).

قال ابن حجر: "وفيه دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في هذه الصلاة من هذا اليوم لما تشعر الصيغة به من مواظبته ﷺ على ذلك"(٣).

المسألة الثانية: تلمس بعض الحكم من قراءتها يوم الجمعة.

اتفق الأئمة أنه لا يُستحب أن يُقصَد بالقراءة سورةٌ فيها سجدة، فليس

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وباب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، ورقم (٢٥٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، وباب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ورقم (٨٩١)، ورواه مسلم، في كتاب الجمعة، في باب ما يقرأ في يوم الجمعة، ورقم (٨٨٠).

(٣) فتح الباري (٢/٣٧٨).

الاستحباب لأجل السجدة، واستُحِب قراءةُ سورتي السجدة والإنسان لما في السورتين من المعاني، وإنما السجدة جاءت اتفاقًا[1].

والملاحظ أن السورتين اتفقتا في بعض المعاني التي يحسن التركيز عليها في خطبة الجمعة، من قضايا الإسلام الكبرى،: كالبعث والنشور، فهو كائن يوم الجمعة، كما قال ﷺ: "**ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**"[2].

كما أن السورتين ذكرتَا خلق الإنسان الأول، وما ذلك إلا للإدلاء على قدرة البعث والجزاء: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ الأنبياء:١٠٤.

كما أن السورتين انتظمتا في ذكر الترغيب والترهيب، في الموازنة الرائقة التي انتهجها الإسلام بين الإفراط والتفريط، لا كما عليه بعض أمم الزيغ والانحراف في لزوم أحد الجانبين دون الآخر، فتجد أن السورتين سلكتا الترغيب والترهيب من خلال المصير المحتوم لكل فريق، فذكرت السورتان أحوال الناس يوم القيامة ومآلهم وعواقب أمرهم.

وكل ذلك يشير ويُلحظ إلى ما ينبغي لخطيب الجمعة أن يطرحه بين يدي المصلين يوم الجمعة، فكأن في قراءتها ذلك اليوم تنبيهًا للمنهج الأسمى الذي تُبنى عليه المواعظ، ويدور عليه دائرة الحديث، أو أن مثل هذه الأمور الكبار لا ينبغي أن تُغفَل ولو بالمرور الكريم عليها مرة بعدة مرة.

كما أن من الملاحظ كونَ السورتين مختلفتين في التنزل، فالسجدة مكية،

---

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٢/٣٦٠).

(٢) رواه مسلم، في كتاب الجمعة، في باب فضل يوم الجمعة، ورقم (٨٥٤).

والأخرى مدنية، وهذا فيه موافقة الترتيب الزمني، فبدأ في الركعة الأولى بالمكي وهي سورة السجدة، ثم ثنّى بالمدني وهي سورة الإنسان، ولا يجزم بأن قصد هذا الترتيب من مراد الشرع، لكنه من مُلح العلم التي تُذكر، والمناسبات التي تُشاد.

كما أن فيه الإشارة إلى أن مضامين السورتين وما أكدتا عليه من القضايا الكبرى هي محل اهتمام الداعي إلى الله، والقاصد إلى طريقه في أي زمن، وفي أي مكان، ما شابه العهد المكي، أو ما شابه العهد المدني، فيتنقل الإنسان في أساليب الدعوة حسب مُقتضى المصلحة الشرعية.

المسألة الثالثة: آثار في فضلها.

مرَّ أول المطلب ذكرُ ما فعله النبي ﷺ من قراءتها فجر يوم الجمعة، وقد جاء عنه ﷺ أنه كان يديم على ذلك، فقد قال ابن مسعود–رضي الله عنه–: "**كان ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان يديم ذلك**"(١).

ولا شك أن في هذه المداومة تأكيدًا في لفت النظر إلى ما فيها من المعاني والألفاظ، خصوصًا أصحاب النبي ﷺ الذين ملأ القرآنُ أبصارَهم وقلوبَهم.

فعن أبي بكر–رضي الله عنه– أنه لما تلا هذه الآية: ﴿**لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا**﴾، قال: "ليتها تَمَّتْ، فلا نُبتلَى"(٢)، أي: تمنى أنه لم يُنقل من العدم

(١) رواه الطبراني (١٧٨/٢)، ورقم (٩٨٦)، قال ابن حجر في الفتح (٣٧٨/٣): "ورجاله ثقات، لكن صوب أبو حاتم إرساله"، ويصحح معناه ما جاء في مسلم من حديث أبي هريرة بصياغة تدل على المداومة، وقد مرَّ الحديث في المسألة الأولى من هذا المطلب.

(٢) ذكره الرازي في التفسير (٧٣٩/٣٠)، والقرطبي في التفسير (١٢٠/١٩).

إلى الوجود، وتمنى أن آدم لم يتكاثر ويخرج نسلُه، لِمَ؟ هل لكونه خسر تجارة؟ أو فقد محبوبًا؟ لا. وإنما أمنيته كانت؛ لأنَّ الدارَ دارُ ابتلاء، والأرضَ أرضُ مِحن.

وكان عمر أيضًا يقول: "ليتني لم أكُ شيئًا، يا ليتني كنت نسيًا مَنسيًّا"، وكان إذا سمع هذه الجملة من الآية: ﴿ **لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ﴾، يقول: "**يا ليتها تَمَّت**"(١)، أي: ليتني لم أُخلق، وكان يأخذ تبنة من الأرض، فيقول: "يا ليتني هذه التبنة، يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت نَسيا مَنسيًّا، يا ليتني لم أكن شيئًا يُذكر"(٢).

ومما جاء فيها من الآثار وهو لا يصح أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة: ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ﴾ الإنسان:١، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان، زفر زفرة فخرجت نفسُه. فقال رسول الله ﷺ: " **أَخْرَجَ نَفْسَ صَاحِبِكُمْ –أَوْ قَالَ: أَخِيكُمْ–الشوقُ إِلَى الْجَنَّةِ**"(٣).

ومما جاء عن النبي ﷺ وهو لا يصح أيضًا: "مَن قرَأَ سورةَ ﴿ **هَلْ أَتَىٰ** ﴾

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، في باب تعظيم ذكر الله (٧٩/١)، وذكره القرطبي في التفسير (١٢٠/١٩).

(٢) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٦٩/٥).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير (٢٨٥/٨) من رواية ابن وهب وقال: "**مرسل غريب**"، ووصله الطبراني في الأوسط (١٦١/٢)، وقال: "**لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به عفيف**"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٨/١٠): "**وفيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف**"، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٣١/٢).

كان جزاؤُهُ على اللهِ جنَّةً وحريرًا"[1].

وحاصل ذلك أن ما جاء في فضل هذه السورة إنما أتى عن النبي ﷺ بطريقِ فعلٍ دالٍّ على فضلها، وما جاء مرفوعًا عنه ﷺ فغير صحيح -فيما علمت وبحثت-، ولا شك أن دلالة الفعل مع اقترانها بالمداومة لَعلامة فضل، وإشارة علو منزلة، ومن هنا التفتتْ قلوب أصحاب النبي ﷺ إلى هذه السورة، ونطقت ألسنتُهم بما ذُكر في هذا المطلب.

(١) أخرجه الثعلبي في التفسير (٩٣/١٠)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣٩٨/٤)، بأسانيدهم إلى أبي بن كعب، وحديث أبي بن كعب في فضل كل سورة من القرآن حديث موضوع، قال ابن الجوزي في الموضوعات (٢٨٤/١): "**وهذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك**"، وقد فرق الثعلبي والواحدي والزمخشري هذا الحديث الطويل على سور القرآن، ولم يُعرف عنهم أنهم من أصحاب الحديث.

المطلب الثاني: أسلوب سورة الإنسان، وأهم موضوعاتها.

مرَّ تحقيق الخلاف في مكية السورة ومدنيتها، وأن الراجح -والعلم عند الله- كون السورة مدنية التنزيل(١).

والملاحظ أن السورة -على العموم- لم تتخذ أساليب السورة المكية، ولا موضوعات السورة المدينة، والأول ليس فيه غرابة، لكن الغرابة في الثاني، وفي المسألتين التاليتين يتبين شيء من ذلك:

المسألة الأولى: أساليب سورة الإنسان.

والمقصود بالأساليب المزايا، أو النمطية، أو الطريقة في التعبير، فالناظر في السورة يرى أنها على طريقة السورة المدنية، وذلك من خلال التالي:

- طول الآيات.

وهذا بيّن واضح، وحيث بلغ عددُ آياتها (٣١ آية)، في (٢٦ سطرًا) تجد أن السورة المكية التي قبلها -مثلًا- وهي سورة القيامة بلغ عددُ آياتها (٤٠ آية)، في (١٦ سطرًا)، وهذا مما يدعم ترجيح البحث من كون سورة الإنسان مدنية التنزيل؛ لأن الملحوظَ من آيات السور المكية قصرُها.

وحيث جاءت أقصرُ آية في سورة الإنسان بـ(٤ كلمات) وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ الإنسان:١٨، تجد أن السورة المكية التي قبلها وهي سورة القيامة جاءت بأقل من ذلك كلماتٍ وحروفًا، حيث إن أقصر آية فيها قولُه تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ القيامة:١١.

---

(١) **انظر**: المطلب الأول من المبحث الأول من هذا البحث.

وحيث بلغت حروف أقصر آية من سورة الإنسان (٢٠ حرفًا)، بينما بلغت حروف أقصر آية من سورة القيامة (٩ أحرف)، يتضح قصرُ آية سورة القيامة، وإن كانت كلماتُها قريبةَ العدِّ من أقصر آية من سورة الإنسان.

– ترك الإيجاز الشديد في المعاني.

فسورة الإنسان على طريقة التفصيل والتبيين، وأما الإيجاز الشديد فهو ملحوظ من مزايا السورة المكية، وحيث تكلمت سورة الإنسان عن نعيم الجنة في (١٨ آية)، تجد أن السورة المكية التي قبلها –مثلًا– وهي سورة القيامة أوجزت ذاك في آيتين اثنتين فحسب، فقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة:٢٢-٢٣، وهذا على سبيل المثال فقط.

–عدم صيغ الإنشاء المختلفة.

لا يلحظ القارئُ تنوعَ الصيغ الإنشائية في سورة الإنسان بشكل متكرر: كالقَسَم، والأمر، والنهي، والاستفهام...، وكثرة التنوع في الصيغ الإنشائية من علامات السور المكية.

فعلى سبيل المثال لا تجد أي قَسَم في سورة الإنسان، بينما تجد أن السورة المكية التي قبلها وهي سورة القيامة استهلت بقسمين متتابعين، فقال تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ القيامة:١-٢، وورود القَسَم في أول السورة مؤذن بقوة الأسلوب، وتعظيم القضية الملقاة في أذن السامع.

وكذلك على سبيل المثال: لا تجد أي استفهام في سورة الإنسان، بينما تجد أن السورة المكية التي قبلها وهي سورة القيامة قد اشتملت على (٦ جمل

استفهامية)، وهي ما قاله المولى جل وعلا: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ القيامة:٣، ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القيامة:٦، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ القيامة:١٠، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ القيامة:٣٦، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ القيامة:٣٧، ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ القيامة:٤٠.

المسألة الثانية: موضوعات سورة الإنسان.

إن السورة المدنية –على العموم– تتزامنُ مع إرساء تفاصيل الشرائع، في حالة يسودها حوار عقلي بين الإسلام وبين ما نسخه من الكتب قبله.

وتهتم السورة المدنية –أيضًا– بمعالجةِ قضية الإنسان الباطني المُخفِي معتقدَه خوفًا أو انتهازًا لفرصة الضعف من خصمه، وهم المنافقون، مع ذكرِ أخبارِهم وقصصهم وعلاماتهم... .

أما سورة الإنسان فقد جاءت أكثر مواضيعها مشابهةً ومقاربةً لما عليها السور المكية، مع أن سورة الإنسان مدنية التنزيل، لكنها لم تتميز بما تميزت به السور المدنية، فقد جاءت مواضيع سورة الإنسان متضمنة التالي:

– قضية الألوهية.

وإن كانت هذه القضية لم تكن في هذه السورة على المستوى الجدلي العقلي الذي تأتي به غالب السور المكية، إلا أن فيها من الأساليب الدالة على قضية الألوهية ما يفهمه العربي بطلاقته الفصيحة، كالتخصيص المضمن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ الإنسان:٢٦، أي: لا لغيره، وكوصف المدح المُحفِّز على المشابهة والاقتداء في قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ الإنسان:٦،

وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ الإنسان:٩.

– قضية البعث والجزاء.

وهذه القضية مُبيَّنة بجلاء في السورة، واستهلال السورة ناطق بالاستدلال العقلي المؤذن بالبعث، وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ الإنسان:١، فالذي أوجده من العدم، قادرٌ على إعادته بعد الفناء.

ثم مجيء التفصيل للخلق بعد ذلك لهو إمعانٌ في إظهار ذلكم الاستدلال العقلي، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ الإنسان:٢، وإنشاء النطفة أهون عند الله من إعادة العظام وهي رميم، فإن الأول رطب، والثاني يابس، وهو قريب مما استدل الله به على منكرِ البعث بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس:٨٠، فقد جاء ردًّا على من قال في السياق قبلها: ﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ يس:٧٨.

ومن وسائل السورة في حديثها عن البعث الحديث عن أحوال الفريقين في الآخرة، مع أنه استفاض بوضوح في نعيم الأبرار المُقرَّر للعباد الطائعين، واختزل بجلاء ما للكافرين من المصير، على ما سيأتي بيانه في دراسة أيام الإنسان في المبحث بعده.

– الأمر بالصبر، والركون للتعبد.

ومثل هذا الأمر غالبٌ على العهد الموتور بالابتلاء، والمشحون بالتعذيب والأذى، وهذا هو العهد المكي، الذي طالما جاءت آياته حاثةً على الكف، والاستعانة بالعبادة، كما في سورة المزمل (مكية التنزيل) من الأمر بالصلاة، والصبر، والهجر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ المزمل:٧-١٠، وكذلك هو الحال في الأسلوب من سورة الإنسان حيث قال تبارك وتعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ۝٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ الإنسان:٢٤-٢٦.

- قضية الإنسان.

ملاحظةُ مشهد الإنسان المُبتلى بالخلق والوجود والتكليف حاضر في عموم موضوع السورة، لا يغيب عن موضوعاتها المطروحة؛ لأن الإنسان هو محل التذكير، وإنزال الآيات، فقد بيَّنتْ قصةَ الإنسان، من مبدئه إلى منتهاه، والغايةَ من خلقه ووجوده، وذكرت أطوارَ الإنسان ومراحلَه، وتشكُّلَه.

وقد رسمت السورةُ للإنسان طريق الخير وجلّت عن سمات الإصلاح، وحذرت من طرائق الشر، وأبانت عن العواقب والمآلات، بأسلوب الوعدِ والوعيد، والترغيبِ والترهيب، فالإنسان هو حكايةٌ لأعظم ابتلاء.

ومن هو الإنسان؟ إنه الإنسان الذي هو مدار الكون، ومآل ما بَعْد الحياة، فالإنسان هو القضية الكبرى، وهو الابتلاء العظيم، فكون الإنسان

إنسانًا هو تشريفٌ من الله وتكليف، ولا شك أن التكليف ابتلاء من العظيم سبحانه؛ ولذا قال الله في أول السورة مُبينًا هذا الابتلاء: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ الإنسان:٢، وبيَّن الله عاقبة هذا الابتلاء، فقال بعدها: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان:٣، فهو إن نجا من قنطرة الحياة فهو في سعادة أبدية، وإن تعثر وتبعثر، وتجبَّر واستكبر فهو في تعاسة سَرمدية، وبيَّن الله مآل هذا الابتلاء العظيم، فقال بعد ذلك: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الإنسان:٤-٥.

ومع ذلك تجبَّر هذا الإنسان وتكبَّر، ورأى نفسه حاكمًا على الأرض وتبختر، وما ذلك إلا لجهله وضعفه؛ ولذا بيَّن الله هذا الضعف فقال في السورة نفسِها: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ الإنسان:٢، نطفةٍ، ثم أمشاج.

وكما أن السورة اشتملت على حقيقة الإنسان، وبيان أصله وكُنْهِه؛ فقد ردَّت في الأمر ذاته على الملاحدة الزنادقة، وعرَّت أباطيلهم وآراءَهم في قضية وجود الإنسان.

والمتأمل لكلمة ﴿أَمْشَاجٍ﴾ يرى أنها لم تَرِد في القرآن إلا في هذا الموضع

من هذه السورة، **والأمشاج**: الأخلاط[1]، فهو من ماء مهين، مختلطٍ من الجنسين الذكرِ والأنثى، والدَّمِ والعلقة، فنسيَ الإنسان أصلَ خلقِه، وأنه من هذه الأخلاط، فكفر! وأنكر وجود خالقه! وقال: لا بعث ولا حساب، كما هم الملاحدة والملحدون، الذين نسو أنهم كانوا عَدَمًا، فأخرجهم الله إلى الوجود، فلما رأوا النور، اختاروا النكران والجحود، أوَلم يتدبروا أن الذي نقلهم من اللاوجود إلى الوجود قادرٌ على بعثهم وحسابهم؟!

ومن دلائل هذه الآية الكريمة: ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ﴾ إظهار آثار قدرة الله من نقل الإنسان إلى الوجود، والفاعل لذلك سيكون في نقل الإنسان من الوجود المؤقت إلى الوجود الدائم أهون وأيسر عليه، ومن هنا وصف الله هذه الفئة من الناس التي ظنت أنها خُلِقت للحياة، لا للآخرة، للفانية لا للباقية، بأنهم يؤثرون الحياة، وينأون بأنفسهم عن النظر في العواقب والمآلات، فقال عنهم في هذه السورة: ﴿ **إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا** ﴾، ولا شك أن الخطاب شامل لمن آمن بالربوبية وكفر بالبعث، وهم كفار قريش، أو كفر بالربوبية والبعث، وهم الملاحدة، فكلا الفريقين مشمول بالخطاب الموصوف بالترك في قوله: ﴿ **وَيَذَرُونَ** ﴾.

---

(١) **انظر**: تفسير القرطبي (١٩/ ١٤٠)، وقال: "**ويقال: مشجت هذا بهذا، أي: خلطته، فهو ممشوج ومشيج، مثل مخلوط وخليط. وقال المبرد: واحد الأمشاج: مشيج، يقال: مشج يمشج: إذا خلط، وهو هنا اختلاط النطفة بالدم**".

وبعد: فتبين من خلال ما مضى أن سورة الإنسان شابهت في مواضيعها السور المكية، بالإضافة إلى أنها لم تشتمل على ما في غالب السور المدنية من مواضيع تفصيل العبادات، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية: كأحكام الصلاة والوضوء، والقتال والجهاد، والبيع والشراء، والنكاح والطلاق.

كما أن عدم ورود ذلك لا يلزم منه كونُ سورة الإنسان سورةً مكية، فإن سورة الفلق والناس سورتان مدنيتان -على الصحيح-[1] ؛ لأنهما نزلتا في فك سحر الرسول ﷺ الذي سحره اليهود[2]، ومع ذلك فالظاهر من سمات السورتين (الفلق والناس) أنهما في عداد السور المكية تنزلاً، إلا أنه لا يُقال به، وعلى هذا فيستفاد من ذلك: أن التزام الخصائص المشهورة في سمات المكي والمدني ليست حكمًا مطلقًا غيرَ مقبول النقاش أو الاعتراض، وإنما هي علامات دالة، يُستأنس بها في الحكم على السورة؛ ولذا تجد كثيرًا من الضوابط الموضوعة لا تكاد تسلم من الاستثناء، كقولهم: "**كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة**"[3]، وهذا عليه استثناء كثيرٌ واضح لكل ذي عينين، فمن أمثلة

---

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره (٥٠٧/٤) لما ذكر القولين في اختلاف تنزل سورة الفلق وأن القول الأول -كونها مدينة- هو الصحيح: "**والأول أصح، ويدل عليه أنّ رسول الله ﷺ سُحِر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان**".

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة في كتاب الجزية، وباب: هل يُعفى عن الذمي إذا سَحَر، ورقم (٣١٧٥)، ومسلم في كتاب السلام، وباب: السحر، ورقم (٢١٨٩).

(٣) الإتقان (٦٩/١).

الاعتراض على القسم الأول: ورود قصة آدم في سورة البقرة، ومن أمثلة الاعتراض على القسم الثاني ورود الزكاة في سورة الأنعام: ﴿**وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ**﴾الأنعام:١٤١، على اعتبار العموم في اللفظة، وهو الأليق لقواعد التفسير؛ لأن أصل الزكاة جاء في العهد المكي، وتفريعه جاء في العهد المدني، كالصلاة المفروضة.

المبحث الثالث: أيام الإنسان في سورة الإنسان

-توطئة: قبل الوجود إلى الخلود.

إن المتأمل في ثنايا هذه السورة ليجد أنها جمعت المراحل التي يمر عليها الإنسان قبل وجوده إلى خلوده، وقد ذكر القرآنُ -في خارج إطار هذه السورة- أن الإنسان يمر من طور إلى طور، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ** ﴾ الانشقاق:١٩.

ولا شك أن من هذه الأطوار أطوارًا خاصةً يعيشها في أيام الوجود، وهي الأيام التي بدأت من ولادة الإنسان، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ** ﴾ الروم:٥٤، فأيام الوجود ثلاث مراحل: ضعف، ثم قوة، ثم يعود إلى الضعف.

ومرحلة الضعف الأولى هي أطوار أيضًا جاء تفصيلها في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾ الحج:٥.

والأشمل من ذلك كله، هي الأيام التي تسبق وجود الإنسان، إلى الأيام التي تلحق فناءه الأول، وهي المذكورة في مضامين هذه السورة:

١- يوم العدم.

٢- يوم الوجود.

٣- يوم الحساب.

٤- يوم الخلود.

وهذه الأيام داخلة دخولاً أوليًّا في عموم قوله تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾ الانشقاق:١٩، وكذلك هو تفسير ابن عباس في عموم واضح حيث قال: "**أمرًا بعد أمر، وحالًا بعد حال**"(١).

ومن السلف -أيضًا- من صرح بأن أحوال ما بعد الفناء الأول داخل في هذه الآية، كما قال ابن زيد في تفسيرها: "**الآخرة بعد الأولى**"(٢)، وهذا القول هو بعض أفراد قول ابن عباس المذكور.

والأقوال في معنى الآية كثيرة، حتى إن منهم من أدخل رِحْلَة عروجه ﷺ في عموم الآية، كما قال مسروق:" **أنت يا محمد سماءً عن سماء**"(٣).

ولا شك أن الخلاف بين السلف في هذ الآية هو من خلاف التنوع، وليس من خلاف التضاد، قال القرطبي بعد أن ذكر تسعة أقول في المراد من قوله تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾: "**قلت: وكله مُراد**"(٤).

وهذا أوان الشروع في مقصود هذا البحث، وبسطِ ما ذكره الله من أيام

---

(١) تفسير الطبري (٣٢٣/٢٤).

(٢) المرجع السابق (٣٢٤/٢٤).

(٣) المرجع السابق (٣٢٤/٢٤).

(٤) تفسير القرطبي (٢٧٨/١٩).

الإنسان في سورة الإنسان، والتي تحدثت عن أيام الإنسان، بجعلها أربعةَ أيام، نعم. للإنسان مِن مُبتدئه إلى سرمديَّتِه أربعةُ أيام، وذلك في تتابع المطالب التالية، والله المستعان.

المطلب الأول: يوم العدم.

المسألة الأولى: الحالة الدهرية.

تطالعنا سورة الإنسان في أول مطلعها بالتصريح بيوم العدم، فيقول تبارك وتعالى: ﴿ **هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا** ﴾ الإنسان:١؛ ولذا كُتبت هذه السورة باسم "**سورة الدهر**" في كثير من المصاحف[(١)]؛ لأنها صرحت بالإخبار عن حالة غَيبيَّةٍ عجيبةٍ غريبة، لم يدْركها أحدٌ من البشر، ولذا قال بعدها: ﴿ **لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا** ﴾، قال القرطبي: "**والمعنى: قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئًا ولا مخلوقًا ولا مذكورًا لأحد من الخليقة**"[(٢)].

وتدل لفظة (**الحين**) من قوله تعالى: ﴿ **حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ** ﴾ على أنها حالةٌ

---

(١) تفسير ابن عاشور (٢٦٩/٢٩).

(٢) تفسير القرطبي (١١٩/١٩)، واستبعد ابن جرير إرادة العدم من الآية من حيث التركيب اللغوي (٨٨/٢٤)؛ ولذا فإن هنالك من ذهب إلى أن مراد الآية أن الإنسان كان شيئًا، لكنه لم يكن مذكورًا، وذلك من حين خلقه الله إلى أن نفخ فيه روحَه. **وانظر**: معاني القرآن، للفراء (٢١٣/٣)، وبنحوه ذكره الرازي في التفسير (٧٣٩/٣٠)، وقال: "**والآية تقتضي أنه قد مضى على الإنسان حال كونه إنسانًا حين من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئا مذكورًا**"، فالخلاف بينهم: هل الآية تحدثت عن العدم، أو تحدثت عن الوجود في حين أن الإنسان لم يكن شيئًا يُذكر.

دهريةٌ طويلةٌ ممتدة[1]، لم يُعرَف فيها الإنسان، إنها حالة العدم، حالة اللاوجود، دهورٌ مرَّت، وفتراتٌ تصرَّمت، والإنسان لم يكن شيئًا يُذكر في الخليقة؛ "**لأنّه آخرُ ما خلقه الله من أصناف الخليقة**"[2]، كان الإنسان معدومًا، وكان قبله من المخلوقات ما لا يعلمه إلا الله، فهو من آخر مخلوقاته.

المسألة الثانية: ذكر يوم العدم في غير هذه السورة.

وقد جاء ذكر يوم العدم في قصة نبي الله زكريا، حيث قال الله تعالى له: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ مريم:٩، فإن زكريا لما بُشِّر بالولد تعجب من هذه الحالة، وهي حالة يندر معها الولد، فقال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ مريم:٨، فقال له الملَك مجيبًا: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ مريم:٩، "**أي: إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها ﴿هَيِّنٌ﴾، أي: يسير سهل على الله**"[3]، ثم أدلى عليه بما هو أعجب من ذلك، وبما هو أكثر إظهارًا للقدرة، فقال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ مريم:٩.

وأوضح من ذلك في عموم بيّنٍ جليٍّ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ

---

(١) **انظر**: تفسير الرازي (٣٠/٧٣٩)، وقد ذكر قولاً آخر مفاده التحديد بأربعين سنة، وهو أحد الروايتين عن ابن عباس، كما نقل القولين عنه الماوردي في التفسير (٦/١٦٢)، والأولى الحمل على العموم تماشيًا مع النص.

(٢) تفسير القرطبي (١٩/١١٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٢١٥).

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة: ٢٨ ، قال ابن كثير في تفسيره: "﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ **أي: قد كنتم عدمًا فأخرجكم إلى الوجود**"(١)، ويفسرها قوله تبارك وتعالى:﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ غافر: ١١، هكذا فسرها غير واحد من السلف–رضوان الله عليهم–(٢).

المسألة الثالثة: ذكر يوم العدم في السُّنَّة.

وقد جاء في السنة ما يدل على الحالة الدهرية الأولى التي لم يوجد فيها الإنسان، وذلك في عموم قول النبي ﷺ: "**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**"(٣)، ومحل الشاهد قوله ﷺ: "**ولم يكن شيء قبله**"، وكذلك ما بعدها في ترتيب ابتداء الخلق، في ذكر تاريخه ومراحله.

المسألة الرابعة: الاستدلال بيوم العدم على منكري البعث.

وهذه الآية صالحة للاحتجاج بها في مسألة إلزام الحجة على منكري البعث، فهي من الحجج العقلية التي يدلي بها الله على منكري الحساب والجزاء، فمن قدر على الإنشاء الأول قادر على بعث الأجساد وقد عادت رميمًا، فالله خلق كل إنسان من العدم، فلم يكن شيئًا قبل العدم، ومن قدر على ذلك

---

(١) المرجع السابق (٢١٢/١).

(٢) كابن مسعود، وابن عباس، والضحاك، وقتادة، بإسناد ابن جرير في التفسير (٣٦٠/٢١).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد، وباب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هود: ٧ ، ورقم (٧٤١٨).

هان عليه إعادة الخلق، ومثل هذه الآية التي في سورة مريم: ﴿ **وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا** ﴾، وقولُه تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾الروم:٢٧.

جاء أحد المتكبرين الصناددة يخاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظمٍ قد بَلِيَ ففتَّته بيده، وقال: أترى اللهَ يحيي هذا بعد ما رمَّ وبَلِيَ؟ فقال النبي ﷺ: "**نعم. ويبعثك ويدخلك النار**"(١)، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾ يس:٧٧-٨٠.

المسألة الخامسة: الذرية قبل إحيائهم.

وهاهنا مسألةٌ تداولها أهل التفسير كثيرًا، وكثر الاستدلال فيها بين أطرافها المختلفة، وكان المفسرون فيها بين محقق ناقد، ينظر في الأدلة، ويحرر في المعاني، ويجرح الرواة، وبين ناقل أمين، كما هي عادة بعض أهل التفسير في النقل دون السبر، وكذلك تداولها غيرُ المفسرين من أهل العلم، وهذه المسألة متمثلة في السؤال التالي:

---

(١)أخرجه الطبري (٢٣/٣٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤٢٣)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٤٦٦) وقال: "**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**"، ووافقه الذهبي.

هل نثر الله الذرية من صلب آدم نثرًا حقيقيًا قبل خروجهم إلى الدنيا؟

هنا نزاع بعيد النيل، طويل الذيل، ومدار النزاع على تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢.

والعلماء على قولين مشهورين في تفسيرها:

القول الأول: أنه نثر الذر، واستنطق الخلق، وركَّب فيهم ما يعقلون به الخطاب ويردون الجواب، وأن ذلك كان قبل أن يخرجوا إلى الدنيا، وجاء في ذلك آثار عن السلف، من أبرزها قول عمر(١)وابن عباس(٢). ولم يذكر البغوي غير هذا القول(٣).

وأجاب أصحاب هذا القول عن سؤال:

كيف يُلزم الحجةَ واحدٌ لا يذكر الميثاق؟

فقالوا: "**عدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق**

---

(١) وأثر عمر رواه الترمذي في أبواب التفسير، ورقم (٣٠٧٥)، وقال: "**هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر**"، ولكنه موصول عند الدار قطني في العلل (٢٢٢/٢) حيث قال:" **عن مسلم بن يسار، عن نعيم بن ربيعة، عن عمر**"، وكذلك رواه أبوداود موصولاً، في كتاب السنة، وباب القدر، ورقم (٤٧٠٤).

(٢) أخرج أثره ابن جرير (٢٢٢/١٣) وما بعدها، بخمسة أسانيد كلها موقوفة، إلا واحدًا مرفوعًا، وجعل ابن كثير كثرة من رواه موقوفًا دليلاً على ضعف رفعه، كما في تفسيره (٥٠٢/٣)، وقال:" **فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس**".

(٣) **انظر**: تفسيره معالم التنزيل (٢٤٧/٢).

صاحب المعجزة"[1]، فهم وإن كان هذا الميثاق غير مستقر في ذاكرتهم بعد أن خُلقوا في هذه الحياة إلا أنه لازم لهم، كمن طلق، ثم نسي، وشَهِدَ عليه من شهد ممن حضر.

القول الثاني: أن معنى أخذ الذرية إخراجهم إلى الدنيا بعد أن كانوا في الأصلاب، ومعنى إشهادهم على أنفسهم: الآيات والبراهين التي أوجدها الله في أرضه وسمائه والتي تدعوا اضطرارًا إلى الإيمان به، والدعوة إليه، فكانوا بمنزلة الشاهدين والمُشهِدين على أنفسهم بصحته[2]، ومن أدلتهم:

– أن هذا القول هو الظاهر من ألفاظ الآية، لأنه قال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾، ولم يقل: "**من آدم من ظهره ذريته**"، وما يذكره المفسرون المسندون من آثار لا ينسجم مع لفظ الآية[3].

– أنهم فسروا الآية بقول النبي ﷺ: "**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**"[4]، وقالوا: "والإقرار الذي أقروا به

---

(١) معالم التنزيل (٢/٢٤٨)، ونقل القرطبي في تفسيره عن الطرطوشي (٧/٣١٧): "**إن هذا العهد يلزم البشر وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة، كما يلزم الطلاقَ من شُهِد عليه به وقد نسيه**".

(٢) **انظر**: زاد المسير (٢/١٦٨).

(٣) **انظر**: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢/٤٧٤)، وقال:" **وكأن ألفاظ هذه الأحاديث لا تلتئم مع ألفاظ الآية**".

(٤) رواه البخاري، في كتاب: الجنائز، وباب: إذا أسلم الصبي فمات، ورقم (١٣٥٨)، ومسلم، في كتاب: القدر، وباب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، ورقم (٢٦٥٨).

هو الفطرة التي فُطِرُوا عليها"[1].

ولم يذكر الزمخشري غيرَ هذا القول[2]، ونصر هذا القول ابنُ القيم[3].

وقد تردد ابن جرير في بيان الراجح من القولين، وعول ذلك إلى صحة الآثار الواردة فمتى ما صحت صح عنده القول الأول[4].

وذهب الرازي إلى تصحيح القولين، وأنه لا مانع من حمل الآية عليهما، لعدم التعارض الذي يردُّ أحدهما، وقال: "**فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما معًا**"[5].

وما ذهب إليه الرازي قولٌ مُحتمَل، وهو قول ثالث في المسألة غير مشهور.

ومما يؤكد دخول الرأي الأول في الآية ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "**إن الله يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت**

---

(١) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (٢/٩٤٨).

(٢) في تفسيره الكشاف (٢/١٧٧)، إلا أنه استدل بهذا القول على القاعدة التي سار عليها في تأويل ذلك إلى التخييل والتمثيل، ولفظة التخييل منكرة؛ لم يأت بمثلها الشرع، أما التمثيل فقد جعله مراد الآية، ولم يجعلها على ظاهرها، وهو عنده كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت:١١، والأخذ بالظاهر في آية سورة فصلت وما شابهها هو قول السلف ومنهجهم، والخروج عن ذلك بغير دليل لا مسوغ له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء:٤٤ ، فالأخذ بظواهر هذه الآيات هو من تمام قدرة الله سبحانه وتعالى، وعظيم إرادته ومشيئته، وما سوى ذلك تحكُّم لا يُعوَّل عليه.

(٣) **انظر**: أحكام أهل الذمة (٢/٩٤٨).

(٤) **انظر**: تفسيره جامع البيان (١٣/٢٥٠).

(٥) مفاتيح الغيب (١٥/٤٠٢).

تفتدي به؟ قال: نعم. قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك"[1].

ومما يؤكد دخول القول الثاني في معنى الآية ما جاء في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز تؤكد معنى إقامة الأدلة على العباد بما يدل على وحدانية الله، وتفرده بالألوهية دون ما سواه، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ النمل: ٦٠، والآيات الأربع التي بعدها.

(١) رواه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، وباب خلْق آدم صلوات الله عليه وذريته، ورقم (٣٣٣٤).

المطلب الثاني: يوم الوجود.

المسألة الأولى: المقصود بيوم الوجود.

بعد أن تم الحديث عن يوم العدم، وهو اليوم الذي لم يُخلق فيه إنسان، ولم يذكره بشر، يأتي اليوم الذي تُشرق فيه الشمسُ على الإنسان، الذي جعله الله خليفةً في هذه الأرض، واستعمره فيها.

والمقصود بيوم الوجود هو اليوم الذي يبدأ من ميلاد الإنسان الأول-آدم- وذريته[1]، وحتى وفاته، فهي حياته الدنيوية، وسنونُه التي يقضيها فيها.

وهو أقصر الأيام، وأشدها خداعًا ومكرًا، وفيها من البلاء والابتلاء ما يحتاج معه المؤمن إلى الركون إلى الدين العاصم، حتى يعيش في حوزة الأمان والإيمان.

المسألة الثانية: الإيجاز في ذكر يوم الوجود.

ولما كانت حياة الإنسان كلمح البرق، لم يُطِلِ الله في تفاصيل هذا اليوم في هذه السورة، فهذا اليوم إنما هو لحظة وأنفاس مقارنة بما بعده من المصير المحتوم الذي لا نهاية له ولاحدَّ لمنتهاه، ولا طرف لغايته.

ففي هذه السورة يجد القارئ ذلك اليوم (يوم الوجود) في آيتين اثنتين، من

---

(١) وذهب السلف إلى أن الإنسان في قوله تعالى: ﴿ **هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ** ﴾ الإنسان: ١ هو آدم-عليه السلام- كما نقل ذلك ابن جرير في التفسير (٨٧/٢٤) ، وذكر الزمخشري في التفسير(٦٦٥/٤) أن المراد بالإنسان هو الجنس، بدليل قوله بعدها: ﴿ **إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ** ﴾ الإنسان: ٢، وهذا القول أوسع من الأول، ولا يتعارضا، فهو من اختلاف التنوع، فالآية الأولى في آدم وذريته، والثانية في تفصيل خلق الذرية.

بين مجمل عدد الآيات في السورة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان:٢-٣.

وجاء هذا الإيجاز في وصف ذلك اليوم؛ لبيان قلة هذه الدنيا وهوانها على الله، فلم يُفَصَّل في هذا اليوم، بل انتقل بعدها إلى بيان اليوم الثالث الذي فصَّل فيه كثيرًا.

المسألة الثالثة: الإشارة إلى النشأة والتكوين.

والمُلاحظ في الآيتين السابقتين أنه أوجز نشأة الإنسان الأولى إيماءً وإشارةً إلى التفصيل الذي جاء في غير هذه السورة، من النطفة وحتى الردّ إلى نهاية العمر، حيث يغيب عن الإنسان كثيرٌ من عقله، ويرتبك في ذاكرته، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ الحج:٥.

ومناسبة الإيجاز في سورة الإنسان في موضوع التكوين الأول، هو أنه لما جاءت السورة في ذكر أيام الإنسان الأربعة، فَعُقِدت المقارنة بينها في سياق واحد ناسب أن يختزل هذا اليوم لبيان حقيقته، وإنْ تزين بالبهارج والأصباغ

التي أضلت وأغوت كثيرًا من طلاب هذا اليوم، حتى ظنوا أنهم مُعمَّرون خالدون، وهم وإن لم يعتقدوا الخلود؛ لمشاهدتهم الموت يخطف من حولهم، إلا أن أعمالهم دلت على أن عيشَهم عيشُ من ظن أنه راكنٌ في هذه الحياة الدنيا ركونًا أبديًّا لا قرار له ولا مستقر.

المسألة الرابعة: المقابلة بين الشاكر والكافر.

ومن روائع المقابلات المعنوية في هاتين الآيتين، ما جاء من الامتنان على الإنسان من الإدلاء عليه بنعمة الخلق، ونعمة السمع والبصر، ثم إن جنس الإنسان بعدها متردد بين الشكر والكفر! فقال تعالى: ﴿ **فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ فالله يُعطي، ولكن جنس البشرية بين الإيمان وعدمه، وحتى من كان من أصحاب الشكر لم يكن شكرهم خالصًا من الكفران لبعض النعم التي لا يحصيها عليهم إلا من خلقهم وأوجدهم -إلا من رحم الله- وهم في ذلك ما بين مُقلٍّ ومُستكثر، فإن النقص جبلةُ البشر، ومن أجل ذلك شُرع الاستغفار كثيرًا في نصوص المُشرّع.

المسألة الخامسة: الهداية والغواية.

وقد جاءت هاتان الآيتان بإيجازها البليغ مشيرة إلى قضية مهمة أخرى من قضايا الوجود، وهي قضية الهداية والغواية، لأن عاقبة هاتين عاقبةٌ مصيرية سرمدية، ومن هنا صرح الله بهداية الإرشاد في قوله: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ** ﴾، فمعنى الهداية هنا كمعناها في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ** ﴾ فصلت:١٧، أي إن الله أقام الحجة على خلقه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال ابن جرير

عن آية سورة الإنسان: "**إنا بينا له طريق الجنة، وعرّفناه سبيله، إن شكر، أو كفر**"[1]، وكذلك هي كقوله تعالى من سورة البلد: ﴿ **وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾ البلد: ١٠، على ما ذكره القرطبي في التفسير[2].

ولا محل هنا لهداية الإلهام والتوفيق؛ لأن التفريع بعدها في قوله تعالى: ﴿ **إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ قاضٍ بمعنى الهداية الأولى وهي هداية الإرشاد والبيان، ولو كانت الهداية هنا بمعنى الإلهام والتوفيق لم يكن لذكر الشاكر والكافر معنى في السياق، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾ البلد: ١٠، أي: بيّنا له طريق الخير والشر.

---

(١) تفسير الطبري (٩٢/٢٤) وما ذكره أحد القولين فيما ذكره.

(٢) **انظر**: تفسيره (١٢٢/١٩) في ذكره لأحد الأقوال في المسألة. ومنهم من قال: إن الهداية هي هداية الإلهام، كمجاهد إذ قال: "**الشقوة والسَّعادة**" كما أخرجه ابن جرير في التفسير(٩٢/٢٤)، أي: قدر الله له الجنة بفضله، أو النار بعدله. والذي يظهر للباحث أنها أشبه بسياق سورتي فصلت والبلد، لذكره النعيم والجحيم بعدهما، إذْ كان للإنسان الاختيار في أي الطريقين شاء، فكان له: إما النعيم الفاضل، أو الجحيم العادل، عطاء حسابًا، أو جزاء وفاقًا، وإن كان كل ذلك تحت تدبير الله وقضائه، والعلم عند الله.

المطلب الثالث: يوم الحساب.

المسألة الأولى: المقصود بيوم الحساب.

يوم الحساب هو اليوم الذي تُجازى فيه أعمال الدنيا، وتُردُّ المظالم إلى أهلها، وهو يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ ص: ٢٦ ولم يأت التصريح بذكر يوم القيامة، لكنه جاء متباين الذكر كما سيأتي في المسألة الثالثة من هذا المطلب، "**والمراد بيوم الحساب ما يقع فيه من الجزاء على الخير والشر، فهو في المعنى على تقدير مضاف، أي جزاء يوم الحساب**"(١).

المسألة الثانية: أوصاف يوم الحساب في السورة.

وقد وصفه الله في هذه السورة بأوصاف مُرِيعَة، وأبان عن وجهٍ لهذا اليوم عابسٍ شديد، فذكرت السورة أوصافًا متعددة له، وأشارت إليه بالتنكير في ثلاثة مواضع، مع إلحاق وصفٍ متفردٍ به، وهي في قول الحق سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ الإنسان:٧، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ الإنسان:١٠، وقول الله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الإنسان:٢٧.

وذكرته السورة بالتعريف في موضع واحد بدون وصف، وهو في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ الإنسان:١١.

وجاءت المفردات في وصف هذا اليوم في هذه السورة ولم تأت في غيرها

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير (٢٣/٢٤٦)

من سور القرآن، فالمفردات: (**مستطير**)، (**قمطرير**)، (**ثقيل**)، كلها أوصاف لموصوف واحد، وهذا مما يعمق الوصف، ويميز السورة بنوعية مفرداتها، كما مرَّ آنفًا في مفردة (**الأمشاج**)، وأنها مما تفردت به السورة.

المسألة الثالثة: معاني الأوصاف الواردة في السورة.

– أما المفردة الأولى (مستطير):

فأصلها: الانتشار. واستطار الفجر: إذا انتشر في الأفق[1].

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾، أي: منتشرًا عامًّا على الناس إلا من رحم الله، فاشيًا شرُّه في السموات فانشقت، وفي الكواكب فانتثرت، وفي الأرض فنُسِفَت، وفي الملائكة فَفَزِعت، وفي المياه فغارت، استطار شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض[2]، وكل هذه عبارات عن السلف في تقريب اللفظة.

وهل يستطير شرُّ ذلك اليوم على المؤمنين؟

قيل في ذلك قولان:

١– يشمل كل مؤمن وكافر، إلا أن الله يؤمِّن عباده المؤمنين من تبعات ذلك الفزع، فهم يفزعون، ولكن آثار ذلك الفزع في معزلٍ عنها.

واستدلوا بعموم الآيات التي أثبتت هول ذلك اليوم، كقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة (١٢/١٤).

(٢) **انظر**: تفسير الطبري (٩٦/٢٤)، وتفسير القرطبي (١٢٨/١٩).

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج:١-٢.

وكذلك استدلوا بما يُرى في ذلك اليوم من مشاهد ترجف لها القلوب بطبيعة الحال، كتبدل الأرض والسموات، وتكوير الشمس، وانكدار النجوم، وتفجر البحار.

٢- لا يشمل المؤمن، بدليل الاستثناء الوارد على آيات العموم، ومن أقوى ما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ الأنبياء:١٠٣، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الأعراف:٤٩[١].

والراجح الثاني -والعلم عند الله-، والقول الأول وجيه لولا أن زلزلة الساعة، وتكوير الشمس، وما يتبع ذلك من آيات إنما هي من علامات آخر الزمان، والتي على أثرها تقوم القيامة[٢]، وليست من الأهوال الواقعة في يوم الحساب،

---

(١) ذكر هذين القولين الرازي في تفسيره ولم يرجح بينهما (٣٠/٧٤٥-٧٤٦).

(٢) والمتأمل لسرد الآيات التي تحدثت عن تغير الكون يرى أن منها ما هو متعلق بآخر الزمان، ومنها ما هو متعلق بذات يوم القيامة، وعلى سبيل المثال الآيات الاثنتي عشرة الأولى من سورة التكوير، والتي قال الله فيها: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾، فمن الآية

فلا تكون داخلة فيه، ويبقى الاستثناء في القول الثاني لا معارض له، فضلاً من الله ونعمة على عباده المؤمنين.

– أما المفردة الثانية والثالثة (العبوس) و(القمطرير):

اليوم العبوس، أي: الشديد[1]، وكذلك قالوا في القمطرير، ومن لوازم الوصف بمفردة القمطرير الفُشُوُّ والانتشار[2]، وبهذا يظهر بلاغة عطف الثانية على الأولى لما فيها من التأكيد والزيادة في المعنى، فالله قد وصف هذا اليوم في نفس السورة بقوله: ﴿**يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا**﴾، فتعبس وتُقَمْطِر فيه الأيام، أي: تطول وتشتدُّ، حتى يكونَ مقدارُ ذلك اليوم خمسين ألف سنة!

وهل يوصف الواقف في ذلك اليوم بالقمطرير؟

جاءت عبارات السلف في التفسير متنوعة، فمنهم من جعل الوصف لليوم، ومنهم من جعله للواقف.

ومَنْ جعله للواقف قال: "**يوم يُقبِّض فيه الرجل ما بين عينيه ووجهه**"، وزاد بعضهم وصفًا إضافيًّا، فقال: "**القمطرير: ما يخرج من جباههم مثل**

الأولى وحتى السادسة في الدنيا، وما بعدها في الآخرة، وكذلك الحال في أول الانفطار، وهو موطن لم يستقم عند كثير من المفسرين؛ فلذا تجد بعض المفسرين يجعل الجميع في الآخرة، ويذكر أقوالاً عن ﴿**وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ**﴾وأن ذلك الوصف قد يكون في الدنيا، وبعضهم جعل ذلك من باب التجوز والمثال، وليس على الحقيقة، مع جعله الجميع على الحقيقة، وهو موضوع جدير بالعناية والبحث، والسبر والتفصيل. وانظر: تفسير القرطبي (٢٢٨/١٩)، والألوسي (٢٥٥/١٥)، وممن انتظم عنده التقسيم ابن عاشور في تفسيره (١٤١/٣٠).

(١) **انظر**: العين (٢٤٣/١)، وتهذيب اللغة (٦٩/٢).

(٢) **انظر**: العين (٢٥٨/٥)، ولسان العرب (١١٦/٥).

القطران، فيسيل على وجوهم"[1]، ومع كون ذلك جاء عن السلف وكفى بهم أهلاً للتفسير، وهم المُعوَّل الأول في الفهم، إلا أن ذلك صحيح من جهة اللغة -أيضًا-، قال الزجاج: "**وجاء في التفسير أن (قَطْرِيرًا) معناه: تَعَبَّسَ، فيَجْمَع ما بين العينين، وهذا سائغ في اللغة**"[2].

والخلاف هنا خلاف تنوع، والكل داخل في مقصود الآية، قال ابن عطية: "**وذلك كلُّه قريب في المعنى**"[3].

ومن مُلَح التفسير في التلون الإعرابي جواز كون المعنى في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ الإنسان:١٠، أي: نخاف يومًا عبوسًا قمطريرًا من أيام ربنا، فيكون (**يَوْمًا**) مفعولاً به لـ(**نَخَافُ**)، و(**مِن رَّبِّنَا**) حال لليوم[4].

-أما المفردة الرابعة (ثقيل):

فقد قال الله تعالى في وصفٍ آخرَ لهذا اليوم في نفس السورة: ﴿ **إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا** ﴾ الإنسان:٢٧، واليوم الثقيل يوم القيامة؛ وإنما سُمِّيَ ثقيلًا لشدائده وأهوالِه، وللقضاء والحساب فيه بين العباد[5].

---

(١) جاء ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وجاء عن ابن عباس -أيضًا- تعلق الوصف باليوم. **انظر**: تفسير الطبري (٢٤/١٠٠-١٠١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/٢٥٩).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٤١١).

(٤) **انظر**: التحرير والتنوير (٢٩/٣٨٦).

(٥) **انظر**: تفسير القرطبي (١٩/١٥١).

ويُستعار (الثقل) لوصف الشدة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ المزمل:٥، وكما قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾الأعراف:١٨٧.

وجاء التعبير بصيغة المضارع في الفعلين﴿ يُحِبُّونَ ﴾﴿ وَيَذَرُونَ ﴾؛ لما يدل عليه الفعل المضارع من التجدد والتكرار، فهم متشبعون بهذه الصفة، جامعون بين الانكباب على الدنيا والنفور عن الآخرة.

ومن جميل الاستقراء أن لفظة ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ إذا وردت في القرآن، ولم يكن لها عائدٌ لفظي قبلها فإن المراد بهم المشركون الحاضرون زمن النبي ﷺ[1]، وذلك كقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ هود:١٠٩، وكذلك هي في هذه الآية: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾.

وفي قوله تعالى:﴿ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ ﴾، أي: قُدَّامهم. وهو كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ الكهف:٧٩، فوراء تأتي بمعنى قُدَّام، كما قال الشاعر:

أترجو بنو مروانَ سمعي وطاعتي * وقومي تميـــمٌ والفلاةُ ورائيَا[2]

---

(١) **انظر**: التحرير والتنوير (٤٠٧/٢٩).

(٢) مجاز القرآن (٢٨٠/٢)، ونسبه ابن منظور في لسان العرب إلى سَوَّار بن المُضَرِّب (٣٩٠/١٥).

وقيل: إن مفردة (وراء) على معناها الحقيقي، جيء بها هنا لغرض بلاغي، وهو أنهم لما لم يلتفتوا إلى هذا اليوم وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم[1].

وحاصل القول: أن الله جمع لهذا اليوم أربعةَ أوصاف: يومًا مستطيرًا، ويومًا عبوسًا، ويومًا قمطريرًا، ويومًا ثقيلًا، إلا مَنْ رَحِمَهُ الله فخففه عليه، أو صرفه عنه، على حسب ما مرَّ في الخلاف عن هذه المسألة[2]، وقد نصَّ الله في نفس السورة على هذه الوقاية، فالبشرى للمؤمنين حاصلة بالغة -بفضل الله ورحمته- فقال الله في نفس السورة: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾، فالكافر يُلَقِّيه الله اليوم العبوس، والمؤمن يُلَقِّيه الله نضرةَ الحبور والسرور.

المسألة الرابعة: أوصاف يوم الحساب بين سياقي الطائفتين.

وقد جاءت أوصاف يوم الحساب في سياق الطائفتين المؤمنة والكافرة، في أحوال متعددة ومختلفة:

فقال تعالى في سياق المؤمنين، واصفًا حالهم: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ الإنسان:٧، وقال تعالى في السياق ذاته ولكنه هذه المرة في بيان قولهم، وما نطقت به ألسنتهم يوم كانوا في يوم الوجود: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ الإنسان:١٠.

---

(١) **انظر**: مفاتيح الغيب (٣٠/٧٦٠).

(٢) تقدم هذا في: المبحث الثالث/ المطلب الثالث/ المسألة الرابعة، في الحديث عن لفظة (المستطير).

وقال الله تعالى في سياق الكافرين: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان:٢٧.

وفي تنوع السياقات بين المؤمنة والكافرة -والتي جاء فيها وصف يوم الحساب- بيانُ أهمية استحضار الوصف، وأن هذا الاستحضار لا ينبغي أن ينفك عن أحد من الخلق: مؤمنهم وكافرهم.

وجاء وصف يوم الحساب مرتين في سياق المؤمنين، ومرة في سياق الكافرين؛ لأن المؤمنين هم أحرى الناس وأولاهم بالانتفاع بزواجر القرآن ووعيده، فهم الذين يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار، كما أن قلوبهم أشد ارتباطًا بمواعظ القرآن من غيرهم.

ويقال أيضًا: من أسباب وصف يوم الحساب مرتين في سياق المؤمنين، ومرة في سياق الكافرين؛ أن المؤمنين هم أداة الربط التي توصل القرآن إلى مسامع الكافرين، وهم من يفسر القرآن لهم، وينقل إليهم ما فيه من الوعد والوعيد، فكانت قلوب المؤمنين أولى بالشحن والامتلاء من وصف ذلك اليوم حتى يعقلوه، وينتبهوا إلى ما فيه من أوصاف وأهوال، فإذا ما جاء وقت الدعوة كانت على فهم ويقين وعلم بالحال وعواقب الأمور، فلذا وصفهم الله بقولهم: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ الإنسان:٩-١٠.

المسألة الخامسة: منهج الموازنة بين الترغيب والترهيب.

كما أن جللَ وأهوالَ ذلك اليوم حاضرةٌ معهم، يوازنونه بين آيات الترغيب

والترهيب، ولا يركنون إلى الترهيب مطلقًا، كما أنهم لا يركنون إلى الترغيب مطلقًا، كما هو المنهج الحق بين منهجي الخوارج والمرجئة؛ ولذا جاء وصف الحساب الشديد في ثنايا الترغيب وذكر الجنة، وسبب استحقاقهم لها، إلماحًا إلى منهج الموازنة الرباني بين منهجي الإفراط والتفريط، فالمتأمل لآيات الوعد يجد أنها تضمنت شيئًا من ذكر الوعيد، حتى يكون ذلك التوازن على بال المؤمن سلوكًا ودعوةً ومنهجًا.

المطلب الرابع: يوم الخلود.

المسألة الأولى: الآيات في ذكر يوم الخلود.

هو اليوم السرمدي الأبدي، اليوم الذي لا ينتهي، وليس له عَدٌّ ولا حساب، وإنما خلود فلا موت، ويبدأ ذكر هذا اليوم من قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، فهما طريقان لا ثالث لهما: طريقُ كُفَّار، وطريقُ أبرار؛ ففصل فيه وأطال، وبالغ في بيانه مُرغبًا، ومُحفزًا النفوس إلى الابتدار والمسارعة للدار الآخرة.

المسألة الثانية: سياق المقارنة بين وصفي النعيم والجحيم.

والملاحظ في السورة أنْ فَصَّلت ذكرَ وصف نعيم الشاكرين في ثماني عشرة آية، ولم تصف ما على الكافرين في الجحيم إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾، وجرى على هذا عدة سور:

كسورة الطور التي ذكرت وصف عذابهم في آيتين اثنتين، فقال الله: ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا** ﴾ الطور:١٣، وقوله: ﴿ **اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ** ﴾الطور:١٦، بينما جاء وصف نعيم المتقين في إحدى عشرة آية بعدها.

وكسورة الرحمن التي وصفت عذاب الكافرين في آيتين اثنتين، فقال الله: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ الرحمن:٤١ ، وقوله تعالى: ﴿ **يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ** ﴾ الرحمن:٤٤، بينما جاء وصف نعيم المتقين في ست عشرة آية بعدها.

ولربما كان تفصيل عذاب الكافرين يربو عن الآيتين، لكنه في مقابل آيات وصف النعيم يظل الأقل عددًا، كما في سورة الواقعة، ففي إحدى وثلاثين آية ذِكْرُ صفةِ نعيم أصحاب الجنة، وفي أقل من ذلك بكثير صفة جحيم أهل النار.

وكل ذلك يؤكد معاني الرحمة، واتساع مغفرة الله لخلقه، ويُصدِّق ذلك قولُه تبارك وتعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾الأعراف:١٥٦، وقوله ﷺ في الحديث الشريف: "**إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**"(١).

---

(١) رواه البخاري، في كتاب التوحيد، وباب: ﴿ **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ﴾ هود:٧، ورقم (٧٤٢٢)، ورواه مسلم، في كتاب التوبة، وباب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ورقم (٢٧٥١)، وهو عنده بلفظ: "**لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**".

وما ذُكر -أنه في سياق المقابلة بين وصفي النعيم والجحيم يَغْلِبُ النعيمُ تفصيلاً- ليس على إطلاقه، فقد يتقارب الوصفان كما في آخر سورة الدخان، وإن كان المتأمل ليرى أن التقارب وإن كان في الآيات عددًا، لكن وصف النعيم أكثر وأشمل وصفًا ونوعًا، فذكر: الزقومَ، وصفةَ استقراره في البطون، وأخذَ الأثيم، وصفةَ تعذيبه بالحميم، ولكنّ وصْفَ النعيم كان في ذكر: أمانهم، وجناتهم، وعيونهم، ولباسهم، وطريقة جلوسهم مجتمعين، وزواجهم، ووصف زوجاتهم، وطعامهم، وسلامتهم من الموت.

وهذا الموضوع (سياق المقارنة بين وصفي النعيم والجحيم) جدير بالبحث والاستقراء، وتتبع المواطن التي جاءت فيها هذه السياقات، مع الخروج بالنتائج والتوصيات.

- صفات الواصلين ليوم الخلود.

كما أنه في ذكر يوم الخلود بيَّنت السورة صفاتِ الناجين، وأعمالَ المقربين، صفاتِ الإنسان التي تنجيه أعماله من الأهوال، فمن هذه الصفات: أنهم ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ ، ويطعمون لوجه الله لا يريدون جزاءً ولا شكورًا.

كما أن من الصفات المذكورة ما يُعين الشاكرين على مواجهة المكذبين، والذين يتسلطون على عباد الله بالأذى، فذكرت السورة أنهم يصبرون لحكم الله في شرعه وقضائه، ولا يطيعون آثمًا أو كفورًا، ويذكرون الله بكرة وأصيلاً، ومن الليل فيسجدون له ويسبحون ليلًا طويلًا، فقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ، مشمولا بالخطاب أمته: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا

﴿أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ الإنسان: ٢٣ - ٢٦.

أما الإنسان الكافر فوصفه الله بوصف يقضي على آخرته، ويكشف عن مدى تصوره وعقله، فقال عنه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

ختامًا... جاء ختم السورة ببيان فضلها، وعلو كَعْبِها، وأنها من السور التي يقف على أعتابها المؤمن مُتأملاً مُتدبرًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ ومن هنا كان ﷺ يُكثر من قراءتها في الركعة الثانية من صلاة الفجر من يوم الجمعة[1].

(١) ذُكر تفصيل ذلك في المطلب الثاني من المبحث الأول.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف المختصر يحسن بخاتمة المطاف أن يُذكَر البحث بعصارة المستفيد، والتي انطوت عليها ورقات البحث، **فمن أهم نتائجه:**

١- الراجح أن سورة الإنسان مدنية لا يُستثنى من آياتها شيء.

٢- اشتملت سورتا السجدة والإنسان على منهج متوازن في الترغيب والترهيب، وفي قراءتها يوم الجمعة التنبيه على الأسلوب الإسلامي المتوازن الذي ينبغي للخطباء انتهاجه أثناء الخطب والمواعظ.

٣- أن ما جاء في فضل هذه السورة إنما أتى عن النبي ﷺ بطريقِ فعلٍ دالٍّ على فضلها، وما جاء مرفوعًا عنه ﷺ فغير صحيح -فيما علمت وبحثت-

٤- أيام الإنسان في سورة الإنسان أربعة أيام: يوم العدم، ويوم الوجود، ويوم الحساب، ويوم الخلود.

٥- تفردت السورة بأربعة ألفاظ لم يتكرر مثلُها في القرآن، وهي: **(أمشاج)**، **(مستطير)**، **(قمطرير)**، **(ثقيل)**، وكلها أوصاف لموصوف واحد، ما عدا الأول، وهذا مما يعمق الوصف، ويميز السورة بنوعية مفرداتها.

٦-ومن جميل الاستقراء أن لفظة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إذا وردت في القرآن، ولم يكن لها عائدٌ لفظي قبلها فإن المراد بهم المشركون الحاضرون زمن النبي ﷺ.

٧- جاء وصف الحساب الشديد في ثنايا الترغيب وذكر الجنة، وسبب استحقاقهم لها، إلماحًا إلى منهج الموازنة الرباني بين منهجي الإفراط والتفريط: المرجئة، والخوارج.

ومن التوصيات:

- تعميق البحث في موضوع: (**سياق المقارنة بين وصفي النعيم والجحيم**)، فهو جدير بالبحث والاستقراء، وتتبع المواطن التي جاءت فيها هذه السياقات في القرآن العظيم، مع الخروج بالنتائج والتوصيات.

قائمة بأهم المراجع والمصادر

١. **أحكام أهل الذمة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م.

٢. **أسباب نزول القرآن**، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح — الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤. **البيان في عدّ آي القرآن**، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث — الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٥. **التحبير في علم التفسير**، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: زهير علي نور، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ–١٩٨٣م، والتحقيق رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير.

٦. **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤م.

٧. **ترتيب الأمالي الخميسية**، ليحيى بن الحسين الشجري، ترتيب محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٨. **تفسير القرآن العزيز**، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الإلبيري، المعروف بابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة

- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٩. **تفسير القرآن العظيم**، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠. **تفسير عبد الرزاق**، لأبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١١. **تقريب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

١٢. **تنزيل القرآن بمكة والمدينة**، لمحمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ.

١٣. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٤. **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

١٥. **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي — بيروت، ١٩٩٨م.

١٦. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٧. **الجرح والتعديل**، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ.

١٨. **دلائل النبوة**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار الكتب

العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

١٩. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لمحمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٠. **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٢١. **سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٢. **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، لعلي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٣. **الفتاوى الكبرى**، لأحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٢٥. **فضائل القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس الرازي، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٢٦. **كتاب العين**، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٨. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق:

أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٩. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.

٣٠. **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

٣١. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٣٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٣٣. **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٣٤. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٥. **معاني القرآن وإعرابه**، لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٦. **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، وعبدالفتاح إسماعيل شلبي– الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

٣٧. **المعجم الأوسط**، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض

الله بن محمد – عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٣٨. **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، لأبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٩. **مفاتيح الغيب**، لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٤٠. **الموضوعات**، لعبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.

٤١. **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية — بيروت.

٤٢. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

Romanized List of Resources:

1. Aḥkām ahl al-dhimmah, li-Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb Ibn Qayyim al-Jawzīyah, taḥqīq : Yūsuf ibn Aḥmad al-Bakrī-Shākir ibn Tawfīq al-‘Ārūrī, Ramādī lil-Nashr-al-Dammām, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1418h – 1997m.
2. Asbāb nuzūl al-Qur’ān, li-‘Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad al-Wāḥidī, taḥqīq : ‘Iṣām ibn ‘bdālmḥsn al-Ḥumaydān, Dār al-iṣlāḥ – al-Dammām, al-Ṭab‘ah : al-thāniyah, 1412h-1992m.
3. Aḍwā’ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur’ān bi-al-Qur’ān, li-Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Mukhtār ibn ‘Abd-al-Qādir al-Jakanī al-Shinqīṭī, Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt-Lubnān, 1415h-1995m.
4. al-Bayān fī ‘add āy al-Qur’ān, li-‘Uthmān ibn Sa‘īd ibn ‘Uthmān ibn ‘Umar Abī ‘Amr al-Dānī, taḥqīq : Ghānim Qaddūrī al-Ḥamad, Markaz al-Makhṭūṭāt wa-al-Turāth – al-Kuwayt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1414h.
5. al-Taḥbīr fī ‘ilm al-tafsīr, l‘bdālrḥmn ibn Abī Bakr al-Suyūṭī, taḥqīq : Zuhayr ‘Alī Nūr, Jāmi‘at Umm al-Qurá, 1404h-1983m, rsāltun quddimt li-nayl darajat al-mājistīr.
6. al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, li-Muḥammad al-Ṭāhir ibn ‘Āshūr, al-Dār al-Tūnisīyah-Tūnis, 1984m.
7. Tartīb al-Amālī alkhmysyh, li-Yaḥyá ibn al-Ḥusayn al-Shajarī, tartīb Muḥammad ibn Aḥmad al-Qurashī al‘bshmy, taḥqīq : Muḥammad Ḥasan Muḥammad Ḥasan Ismā‘īl, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt – Lubnān, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1422h-2001M.
8. Tafsīr al-Qur’ān al-‘Azīz, li-Abī Allāh Muḥammad ibn Allāh al-Ilbīrī, al-ma‘rūf bi-Ibn Abī zamanīn, taḥqīq : Ḥusayn ibn ‘Ukāshah-Muḥammad ibn Muṣṭafá al-Kanz, al-Fārūq al-ḥadīthah-al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1423h-2002M.
9. Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm, li-Ismā‘īl ibn ‘Umar ibn Kathīr, taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Ṭab‘ah : al-thāniyah 1420h-1999M.
10. Tafsīr ‘Abd al-Razzāq, li-Abī Bakr ‘Abd al-Razzāq ibn Hammām ibn Nāfi‘ al-Ṣan‘ānī, taḥqīq : D. Maḥmūd Muḥammad ‘Abduh, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, sanat 1419H.
11. Taqrīb al-Tahdhīb, li-Abī al-Faḍl Aḥmad ibn ‘Alī ibn Ḥajar al-‘Asqalānī, taḥqīq : Muḥammad ‘Awwāmah, Dār al-Rashīd-Sūriyā, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1406h – 1986m.
12. Tanzīl al-Qur’ān bi-Makkah wa-al-Madīnah, li-Muḥammad ibn Muslim ibn ‘Abd Allāh ibn shihāb alzzuhry, taḥqīq : Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, Mu’assasat al-Risālah, al-Ṭab‘ah : al-thālithah, 1418 H.
13. Tahdhīb al-kamāl fī Asmā’ al-rijāl, li-Yūsuf ibn ‘Abd al-Raḥmān ibn Yūsuf al-Mizzī, taḥqīq : D. Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Mu’assasat al-Risālah-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1400h.
14. Tahdhīb al-lughah, li-Abī Manṣūr Muḥammad ibn Aḥmad al-Azharī, taḥqīq : Muḥammad ‘Awaḍ Mur‘ib, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, Bayrūt, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-

‘Arabī, 2001M.
15. al-Jāmi‘ al-kabīr-Sunan al-Tirmidhī, li-Muḥammad ibn ‘Īsá ibn sawrh, taḥqīq : Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī – Bayrūt, 1998M.
16. al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, li-Abī Allāh Muḥammad ibn Aḥmad al-Anṣārī al-Qurṭubī, taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah-al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah : al-thāniyah, 1384h-1964m.
17. al-Jarḥ wa-al-ta‘dīl, li-Abī Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Idrīs al-Rāzī Ibn Abī Ḥātim, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1271 H.
18. Dalā’il al-Nubūwah, li-Aḥmad ibn al-Ḥusayn ibn ‘Alī ibn Mūsá Abī Bakr al-Bayhaqī, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1405 H.
19. Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm wa-al-Sab‘ al-mathānī, li-Maḥmūd ibn Allāh al-Ḥusaynī al-Alūsī, taḥqīq : ‘Alī ‘bdālbāry ‘Aṭīyah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1415h.
20. Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr, li-Abī al-Faraj ‘Abd-al-Raḥmān ibn ‘Alī Ibn al-Jawzī, taḥqīq : ‘Abd al-Razzāq al-Mahdī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá-1422h.
21. Sunan Abī Dāwūd, li-Sulaymān ibn al-Ash‘ath ibn Isḥāq alssijistāny, taḥqīq : Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd-al-Ḥamīd, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Ṣaydā-Bayrūt.
22. al-‘Ilal al-wāridah fī al-aḥādīth al-Nabawīyah, li-‘Alī ibn ‘Umar ibn Aḥmad al-Dāraquṭnī, taḥqīq : Maḥfūẓ al-Raḥmān Zayn Allāh, Dār Ṭaybah – al-Riyāḍ, al-Ṭab‘ah : al-ūlá 1405h-1985m.
23. al-Fatāwá al-Kubrá, li-Aḥmad ibn ‘bdālḥlym ibn ‘Abdussalām Ibn Taymīyah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1408h-1987m.
24. Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, li-Aḥmad ibn ‘Alī ibn Ḥajar al-‘Asqalānī, Dār al-Ma‘rifah-Bayrūt, 1379h, raqm katabahu wa-abwābuh wa-aḥādīthahu : Muḥammad Fu’ād ‘Abd-al-Bāqī, qāma bi-ikhrājihi wa-ṣaḥḥaḥahu wa-ashrafa ‘alá ṭab‘ihi : Muḥibb al-Dīn al-Khaṭīb.
25. Faḍā’il al-Qur’ān, li-Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Ayyūb ibn Yaḥyá ibn alḍrys al-Rāzī, taḥqīq : ‘Urwah Budayr, Dār al-Fikr, Dimashq, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1408 H.
26. Kitāb al-‘Ayn, li-Abī ‘Abd-al-Raḥmān al-Khalīl ibn Aḥmad ibn ‘Amr ibn Tamīm al-Farāhīdī al-Baṣrī, taḥqīq : D. Mahdī al-Makhzūmī-D. Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī, Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
27. al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl, li-Abī al-Qāsim Maḥmūd ibn ‘Amr al-Zamakhsharī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-thālithah-1407h.
28. al-Kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān, li-Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm al-Tha‘labī, taḥqīq : Abī Muḥammad ibn ‘Āshūr, murāja‘at wa-tadqīq : al-Ustādh Naẓīr al-Sā‘idī, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt-Lubnān, al-Ṭab‘ah : al-ūlá 1422h-2002M.
29. Lisān al-‘Arab, li-Muḥammad ibn Mukarram ibn manẓūr al-Ifrīqī al-Miṣrī,

Dār Ṣādir-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá.
30. Mujāz al-Qur’ān, li-Abī ‘Ubaydah Mu‘ammar ibn al-Muthanná, taḥqīq : Muḥammad Fu’ād Sizkīn, Maktabat al-Khānjī-al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah : 1381h.
31. Majma‘ al-zawā’id wa-manba‘ al-Fawā’id, li-‘Alī ibn Abī Bakr ibn Sulaymān al-Haythamī, taḥqīq : Ḥusām al-Dīn al-Qudsī, Maktabat al-Qudsī, al-Qāhirah, 1414h-1994m.
32. al-Muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, li-Abī Muḥammad ‘bdālḥq ibn Ghālib ibn ‘Aṭīyah al-Andalusī, taḥqīq : ‘Abdussalām ‘bdālshāfy Muḥammad, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá-1422H.
33. al-Mustadrak ‘alá al-ṣaḥīḥayn, li-Abī Allāh al-Ḥākim Muḥammad ibn Allāh al-Nīsābūrī, taḥqīq : Muṣṭafá ‘Abd-al-Qādir ‘Aṭā, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1411h.
34. Ma‘ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur’ān, li-Abī Muḥammad al-Ḥusayn ibn Mas‘ūd al-Baghawī, taḥqīq : ‘Abd-al-Razzāq al-Mahdī, Dār Iḥyā’ al-Turāth al‘rby-byrwt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1420h.
35. Ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh, li-Ibrāhīm ibn alssaryyi ibn Sahl al-Zajjāj, taḥqīq : ‘Abd-al-Jalīl ‘Abduh Shalabī, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1408h-1988m.
36. Ma‘ānī al-Qur’ān, li-Abī Zakarīyā Yaḥyá ibn Ziyād al-Farrā’, taḥqīq : Aḥmad Yūsuf Najātī, wa-Muḥammad ‘Alī Najjār, w‘bdālftāḥ Ismā‘īl shlby-al-Dār al-Miṣrīyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah-Miṣr.
37. al-Mu‘jam al-Awsaṭ, li-Sulaymān ibn Aḥmad ibn Ayyūb al-Ṭabarānī, taḥqīq : Ṭāriq ibn ‘Awaḍ Allāh ibn Muḥammad-‘bdālmḥsn ibn Ibrāhīm al-Ḥusaynī, Dār al-Ḥaramayn-al-Qāhirah.
38. al-Mughnī ‘an ḥaml al-asfār fī al-asfār, fī takhrīj mā fī al-Iḥyā’ min al-akhbār, li-Abī al-Faḍl ‘bdālrḥym ibn al-Ḥusayn al-‘Irāqī, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt-Lubnān al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1426-2005m.
39. Mafātīḥ al-ghayb, li-Muḥammad ibn ‘Umar ibn al-Ḥasan al-Rāzī, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī-Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-thālithah-1420h.
40. al-Mawḍū‘āt, l‘bdālrḥmn ibn ‘Alī ibn Muḥammad Ibn al-Jawzī, taḥqīq : ‘Abd-al-Raḥmān Muḥammad ‘Uthmān, al-Maktabah al-Salafīyah bi-al-Madīnah al-Munawwarah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1386h-1966m.
41. al-Nukat wa-al-‘uyūn, li-Abī al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-shahīr bālmāwrdy, taḥqīq : al-Sayyid Ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – Bayrūt.
42. al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qur’ān al-Majīd, li-‘Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad al-Wāḥidī, taḥqīq : ‘Ādil Aḥmad ‘bdālmwjwd, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt-Lubnān, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1415h-1994m.